مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(عبرانيين ١٣: ٧–١٦)

يا إخوةُ اذكُروا مدبِّريكم الذين كلَّموكم بكلمةِ الله. تأمَّلوا في عاقِبَةِ تصرُّفهم واقتدوا بإيمانهم* إنَّ يسوعَ المسيحَ هو هو أمسِ واليومَ وإلى مدى الدهرِ* لا تنقادوا لتعاليمَ متنوِّعةٍ غريبة. فإنَّه يحسُنُ أن يُثبَّتَ القلبُ بالنعمة لا بالأطعمةِ التي لم ينتفِع الذين تعاطوها* إنَّ لنا مذبحاً لا سُلطانَ للذين يخدُمون المسكِنَ أن يأكلوا منه* لأنَّ الحيواناتِ التي يُدخَلُ بدَمِها عن الخطيئةِ إلى الأقداسِ بيدِ رئيسِ الكهنةِ تُحرَقُ أجسامُها خارجَ المحلَّة* فلذلك يسوعُ أيضاً تألَّم خارجَ البابِ ليقدِّسَ الشعبَ بدمِ نفسِه* فلنخرُجْ إذاً إليه إلى خارجِ المحلَّة حامِلين عاره* لأنَّه ليس لنا ههنا مدينةٌ باقيةٌ بل نطلبُ الآتية* فلنقرِّبْ به إذاً ذبيحةَ التسبيح كلَّ حينٍ وهي ثمرُ شِفاهٍ معترفةٍ لاسمه* لا تَنسوا الإحسانَ والمؤاساةَ فإنَّ اللهَ يرتضي مثل هذه الذبائح.

أنا المتكلّم معك هو

«في انتصاف العيد إسقِ نفسي العطشى من مياه العبادة الحسنة أيها المخلّص، لأنك هتفت نحو الكل قائلاً مَن كان عطشاناً فليأتِ إليّ ويشرب. هذا ما رتلناه يوم الأربعاء الماضي الواقع في انتصاف الزمن الخمسيني بين القيامة والعنصرة. وقد بدأ زمن انتصاف العيد يوم الأحد الفائت وهو ينتهي هذا الأحد. في الأحد الفائت استعدنا أجواء العهد القديم المتمثّل بالمخلّع الملقى يوم السبت أمام بركة باب الغنم ذات الأروقة الخمسة منتظراً ملاك الرب لتحريك المياه. وقلنا كيف أن الشريعة وحدها وكل رموز العهد القديم لم تعد، بحضور المسيح، قادرة على منح الشفاء والحياة لمن يحتاجها. وختمنا بالقول إن شخص يسوع المسيح الإله – الإنسان هو الوسيط الحامل المخلوق إلى الخالق.

في الأحد الفائت حدّثنا المقطع الإنجيلي عن ماء جامد يتحرّك كلما نزل فيه ملاك من حين إلى آخر. وفي إنجيل اليوم يتكشف لنا السرّ بصورة أوضح. ماء البركة يصبح بالمسيح ماء حيًّا إلى الأبد. والهيكل الذي يُسجد فيه لله لم يعد في أورشليم ولا على أي جبل بل إن الساعة أتت حيث الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق.

ما معنى السجود للآب بالروح والحق؟ إننا عندما نسجد لنصلي، نعبّر عن رغبتنا وإرادتنا الحرة بالصلاة. ولكن كيف يستطيع المخلوق أن يقف في حضرة الآب دون أن يخجل من تكشّف أوساخ نفسه؟ أية كلمات يتفوّه بها تليق بالآب؟ لذلك إن الإنسان بحاجة إلى وسيط يحجب وسخ نفسه عن البهاء الإلهي كما أنه بحاجة لأن يتعلّم كيف يصلي، بحاجة لأن يضع الوسيط في فمه كلمات تليق بالله. والوسيط هو الروح والحق. الروح هو الروح القدس الذي سيحل على الرسل وعلى الخليقة في اليوم الخمسين ويعطيهم ألسنة تقول الحكمة والفهم. أما الحق فهو المسيح الذي قال عن نفسه: «أنا الطريق والحق والحياة» (يو ١٤: ٦). هو الطريق الذي نَعْبُر بواسطته إلى الآب، لأنه بدمه الكريم يغسل أوساخ نفوسنا. هو الحق الذي يغلب سلطان الباطل المتحكم فينا. هو الحياة التي نحصل عليها بغلبة المسيح، الحق، على الباطل، على رئيس هذا العالم.

العدد ١٨/ ٢٠١٠

الأحد ٢ أيار

أحد السامرية

نقل جسد أبينا الجليل في القديسين أثناسيوس الكبير

اللحن الرابع

إنجيل السَحَر السابع

الإنجيل

(يوحنا ٤: ٥-٤٢)

في ذلك الزمان أتى يسوعُ إلى مدينةٍ من السامرةِ يُقالُ لها سوخارُ بقربِ الضَيْعَةِ التي أعطاها يعقوبُ ليوسُفَ ابنِه* وكان هناك عينُ يعقوب. وكان يسوعُ قد تعِبَ من المسير. فجلس على العين وكان نحوُ الساعةِ السادسة* فجاءَتِ امرأةٌ من السامِرَةِ لِتستقيَ ماءً. فقال لها يسوعُ أعطيني لأشرَبَ* (فإنَّ تلاميذَهُ كانوا قد مضوا إلى المدينة ليبتاعوا طعاماً)* فقالَتْ لهُ المرأةُ السامِريَّةُ كيف تطلبُ أن تشرَبَ منّي وأنتَ يهوديٌّ وأنا امرأةٌ سامريةٌ واليهودُ لا يخالِطونَ السامريّين* أجاب يسوعُ وقال لها لو عرَفْتِ عطيَّةَ اللهِ ومن الذي قال لكِ أعْطيني لأشرَب لَطَلَبْتِ أنتِ منه فأعطاكِ ماءً حيًّا* قالت لهُ المرأةُ يا سيّدُ إنَّه ليس معك ما تستقي به والبئرُ عميقة. فمِن أين لك الماء الحيُّ* ألعلَّكَ أنت أعظَمُ من أبينا يعقوبَ الذي أعطانا البئرَ ومنها شربَ هو وبنوهُ وماشيتُهُ* أجاب يسوعُ وقال لها كلُّ مَن يشربُ من هذا الماءِ يعطَش أيضاً. وأمَّا مَن يشربُ من الماءِ الذي أنا أُعطيهِ له فلن يعطَشَ إلى الأبد* بل الماءُ الذي أُعطيهِ لهُ يصيرُ فيهِ ينبوعَ ماءٍ ينبُعُ إلى حياةٍ أبديَّة* فقالت لهُ المرأةُ يا سيّدُ

والسيد يؤكِّد ذلك للسامرية التي قالت: «علمتُ أن مسيا الذي يُقال له المسيح يأتي. فمتى جاء ذاك فهو يخبرنا بكل شيء». أنا المتكلِّم معك هو، أجاب السيد. ليس أوضح من هذا الكلام للتأكيد على ألوهة المسيح. هذا هو بالحقيقة المسيح الذي حجب وسخ السامرية وأقامها شاهدة للحضرة الإلهية، رسولة ومبشّرة بالخلاص.

نصف الخمسين الذي نعلن فيه المسيح مخلِّصاً قائماً من بين الأموات وواعداً إيانا بإرسال الروح القدس المعزي، ليس محطة زمنية نستذكر خلالها حدثاً خلاصياً محدَّداً كالبشارة أو الميلاد أو سواها، ومع ذلك فهي ليست محطة رمزية على الإطلاق.

بعد أيام سينتهي زمن التجسّد الأرضي بصعود المسيح. والكنيسة تنتظر ولادتها بعنصرة الروح القدس. في انتصاف العيد نحن مدعوون لمعاينة الحدث الذي سيتمثّل بالإنتهاء الزمني لتنازل الإبن والإبتداء الزمني لحلول الروح القدس. المسيح، المتنازل طوعاً باختياره، سيرتفع عنا ويمجّد بالجلوس عن يمين الآب، واعداً إيانا بإرسال الروح المعزي.

الله الإبن صار إنساناً أما الروح فسوف يجعل من الإنسان هيكلاً لله وعضواً في جسد المسيح. لن يعود الإبن في العالم بالجسد بل إن الروح سوف يجعل من العالم جسداً ليسوع. هذا العمل الخلاصي سيحصل في إطار التاريخ البشريّ المتوسط بين زمن الخلق وزمن المجيء الثاني. سوف يشرب التاريخ البشريّ ماء حيّة ليصير زمناً تتدفق منه الحياة. سوف يبطل أن يكون التاريخ البشريّ زمناً للموت. في الزمن الجديد سوف يتحوّل الماء الحيّ خمرةً جديدة، ليس فقط في عرس قانا الجليل، بل في كل معمودية وقداس، لأن الماء والدم المتدفقين من الجنب الطاهر على الصليب، صارا للمؤمنين حياة أبدية.

من هنا ليس انتصاف العيد عيداً رمزياً. إنه عيد الوعد. وعد المسيح لنا بأنه سيكون معنا إلى انقضاء الدهر. إنه انتظار بهيّ لحدث عظيم، فيه يصعد الإبن ليجلس عن يمين الآب وليعدّ لنا مكاناً لأنه «في بيت أبي منازل كثيرة» (يو ١٤: ٢). هو استباق لحلول الروح القدس على كلٍّ منا مياه أشفية ومواهب. فلنسبّحه قائلين: «يا ينبوع حياتنا أيها المسيح الإله القائم من بين الأموات المجد لك».

ينبوع الحياة

في الأحد الرابع بعد الفصح تقيم الكنيسة المقدسة تذكاراً للمرأة السامرية التي التقاها الرب يسوع في السامرة عند البئر التي ليعقوب (يو ٤: ٥-٤٢)، والتي دعاها الرب أن تطلب من الماء الحي الذي يعطيه هو: «ولكن مَن يشربُ من الماءِ الذي أُعطيه أنا فلن يعطشَ إلى الأبدِ، بل الماءُ الذي أعطيه يصيرُ فيه ينبوعَ ماءٍ ينبَعُ إلى حياةٍ أبديَّةٍ» (يو ٤: ١٤).

يشكّل الماء أولاً ينبوع الحياة وقوّتها. ليست الأرض بدونه إلاّ صحراء قاحلة، أرض الجوع والعطش، حيث يتعرّض البشر والحيوانات للموت. مع ذلك هناك مياه موت: الفيضان المدمّر الذي يجرف الأرض ويبتلع الأحياء. وهناك أخيراً الماء الذي يُستعمل في

أعطِني هذا الماءَ لكي لا أعطَشَ ولا أجيءَ إلى ههنا لأستقي* فقال لها يسوعُ اذهبي وادْعي رَجُلَكِ وهلمّي إلى ههنا* أجابتِ المرأةُ وقالتْ إنَّهُ لا رجلَ لي. فقالَ لها يسوعُ قد أحسَنْتِ بقولِكِ إنَّهُ لا رَجُلَ لي* فإنَّهُ كان لك خمسةُ رِجالٍ والذي معكِ الآنَ ليس رجُلَكِ. هذا قلتِهِ بالصِّدق* قالت له المرأةُ يا سيّدُ أرى أنَّك نبيٌّ* آباؤنا سجدوا في هذا الجبلِ. وأنتم تقولون إنَّ المكانَ الذي ينبغي أن يُسجَدَ فيهِ هو في أورشليم* قال لها يسوعُ يا امرأةُ صدِّقيني إنها تأتي ساعةٌ لا في هذا الجبلِ ولا في أورشليمَ تسجدون فيها للآبِ* أنتم تسجُدون لما لا تعلَمون ونحن نسجُدُ لما نعلَم. لأنَّ الخلاصَ هو مِنَ اليهود* ولكن تأتي ساعةٌ وهي الآنَ حاضِرَةٌ إذ الساجدون الحقيقيُّون يسجُدون للآبِ بالروحِ والحقِّ. لأنَّ الآبَ إنما يطلُبُ الساجدين له مثلَ هؤلاءِ* اللهُ روحٌ. والذينَ يسجُدون له فبالروحِ والحقِّ ينبغي أن يسجُدوا* قالت له المرأةُ قد علِمتُ أنَّ مَسيّا الذي يُقالُ له المسيحُ يأتي. فمتى جاء ذاك فهو يُخْبِرُنا بكلِّ شيءٍ* فقال لها يسوعُ أنا المتكلِّمُ معَكِ هو* وعند ذلك جاءَ تلاميذُهُ فتعجَّبوا أنَّهُ يتكلَّمُ مع امرأةٍ. ولكِنْ لم يقلْ أحدٌ ماذا تطلبُ أو لماذا تتكلَّمُ معها* فتركَتِ المرأةُ جرَّتَها ومضتْ إلى المدينةِ

العبادة الطقسيّة فيطهّر الأشخاص والأشياء من النجاسات التي تصيب الناس في حياتهم اليومية.

في الكتاب المقدّس يرتبط الماء ارتباطاً وثيقاً باللـه الذي هو مصدره. فاللـه يوزّع الماء بحسب رغبته، كونه سيّد الكون، جاعلاً مصائر الناس تحت قبضته، وكونه سيّد المياه فهو الذي يحبسها أو يطلقها كما يشاء، مسبِّباً هكذا الجفاف أو الفيضان (تك ٧: ١١، ٨: ٢؛ أي ١٢: ١٥).

كون المياه تشكّل العنصر الأساسي للحياة، وكون اللـه هو مصدر الحياة الوحيد، ارتبط اسمه بها، فهو ينبوع الحياة (مز ٦٥: ٩)، وهو ينبوع المياه الحيّة (إر ٢: ١٣). وقد استعمل الكتاب المقدّس صورة المياه ليدل على رحمة الله وعطاياه للناس: «هكذا قال الربُّ: في وقتِ القبولِ استَجَبْتُكَ وفي يومِ الخلاصِ أعَنْتُكَ، فأحفَظُكَ وأجعَلُكَ عهداً للشعبِ... قائلاً للأسرى اخرُجوا وللذين في الظلامِ اظهَروا . على الطُّرُقِ يَرعَون وفي كلِّ الهضابِ مَرْعاهم. لا يجوعون ولا يعطَشون ولا يضربُهم حرٌّ ولا شمسٌ ، لأنَّ الذي يرحمهم يَهديهم وإلى ينابيعِ المياهِ يوردُهُم» (إش ٤٩: ٨–١٠)، «البائسون والمساكينُ طالبون ماءً ولا يوجَدُ. لِسانُهم مِنَ العَطَشِ قد يَبِسَ. أنا الربَّ أستجيبُ لهم، أنا إلهُ إسرائيلَ لا أترُكَهم. أفتحُ على الهضابِ أنهاراً وفي وَسَطِ البِقاعِ ينابيعَ. أجعلُ القَفْرَ أجَمَةَ ماءٍ والأرضَ اليابسةَ مفاجِرَ مياهٍ» (إش ٤١: ١٧–١٨). كما تستعمل صورة المياه أيضاً للتعبير عن تطهير الله لخطايا البشر: «اغسلني كثيراً من إثمي ومن خطيئتي طهّرني... اغسلني فأبيضَّ أكثر من الثلج» (مز ٥١: ٤، ٧)، «اغتسلوا، تنقَّوا، اعزِلوا شرَّ أفعالِكم من أمامِ عينيَّ، كُفُّوا عن فَعلِ الشرِّ» (إش ١: ١٦).

ترمز المياه أيضاً في الكتاب المقدّس إلى قدرة إلهية محيية سوف تنتشر في الأزمنة المسيانية، وتسمح للبشر بأن يأتوا بثمر كامل: «وعلى النَّهرِ يَنبُتُ على شاطئِهِ من هنا ومن هناكَ كلُّ شَجَرٍ للأكلِ لا يذْبُلُ وَرَقُهُ ولا ينقطِعُ ثَمَرُه، كلَّ شهرٍ يُبكِّرُ لأنَّ مياهَهُ خارجَةٌ من المقدِسِ ويكونُ ثَمَرُهُ للأكْلِ ووَرَقُهُ للدَّواءِ» (حز ٤٧: ١٢)، «فإنَّه يكونُ كَشَجَرَةٍ مغروسَةٍ على مياهٍ وعلى نهرٍ تَمُدُّ أُصولَها ولا ترى إذا جاءَ الحرُّ ويكونُ وَرَقُها أخضَرَ وفي سنةِ القَحْطِ لا تخافُ ولا تكُفُّ عن الإثمارِ» (إر ١٧: ٨). أمّا في نص إشعياء ٤٤: ٣–٥ فترمز الماء إلى روح الله القادر أن يحوّل الصحراء إلى بستان من الفواكه، والشعب الجاحد إلى شعب الله الحقيقي. وفي موضع آخر يشبّه الكتاب المقدّس كلمة اللـه بغيث ينزل ليخصب الأرض: «لأنّه كما ينزِلُ المطَرُ والثلجُ من السماءِ ولا يرجِعانِ إلى هناكَ بل يُروِيانِ الأرضَ ويجعلانها تَلِدُ وتُنْبِتُ وتُعطي زرعاً للزَّارعِ وخُبزاً للأكلِ، هكذا تكونُ كلمتي التي تخرُجُ من فمي، لا ترجعُ إليَّ فارغةً بل تعمَلُ ما سُرِرتُ به وتنجَحُ في ما أرسلتُها له» (إش ٥٥: ١٠–١١). وباختصار فإنّ الله سيكون ينبوع حياة للإنسان، يعطيه قوّة النموّ في المحبّة والأمانة: «تركوني أنا ينبوعَ المياهِ الحيَّةِ لينقُروا لأنفُسِهم آباراً مُشَقَّقَةً لا تَضبُطُ ماءً» (إر ٢: ١٣). أمّا بعيداً عن الله فليس الإنسان إلاّ أرضاً قاحلة، دون ماء، معرّضة للموت: «بسطتُ إليك يديّ نفسي

وقالتْ للناس* تعالَوا انظُروا إنساناً قال لي كلَّ ما فعلتُ. ألعلَّ هذا هو المسيح* فخرجوا من المدينةِ وأقبلوا نحوه* وفي اثناءِ ذلك سألهُ تلاميذُه قائلينَ يا معلّمُ كُلْ* فقال لهم إنَّ لي طعاماً لآكُلَ لستم تعرفونه أنتم* فقال التلاميذُ فيما بينَهم ألعلَّ أحداً جاءَهُ بما يأكُلُ* فقال لهم يسوعُ إنَّ طعامي أن أعمَلَ مشيئةَ الذي أرسلني وأُتممَ عملَهُ* ألستُم تقولون أنتم إنَّه يكون أربعةُ أشهرٍ ثمَّ يأتي الحصادُ. وها أنَا أقولُ لكم ارفعوا عيونَكم وانظروا إلى المزارع إنَّها قد ابيضَّتْ للحَصاد* والذي يحصدُ يأخُذُ أُجْرةً ويَجْمَعُ ثمراً لحياةٍ أبديَّةٍ لكي يفرح الزارعُ والحاصدُ معاً* ففي هذا يَصْدُقُ القولُ إنَّ واحداً يزرَعُ وآخرَ يحصِدُ* إنّي أرسلتكم لتحصِدوا ما لم تتعبَوا أنتم فيه. فإنَّ آخرينَ تعِبوا وأنتم دخَلتم على تعبِهم* فآمَنَ بهِ من تلكَ المدينةِ كثيرون من السامريين من أجلِ كلامِ المرأةِ التي كانت تشهَدَ أنْ قد قال لي كلَّ ما فعلتُ* ولمَّا أتى إليهِ السامريُّون سألوهُ أن يُقيم عندهم. فمكثَ هناك يَوْمَيْن* فآمنَ جمعٌ أكثرَ من أولئِكَ جداًّ من أجلِ كلامهِ* وكانوا يقولون للمرأةِ لسنا من أجل كلامكِ نؤمِنُ الآنَ. لأنَّا نحنُ قد سمِعنا ونعلَمُ أنَّ هذا هو بالحقيقةِ المسيحُ مخلّصُ العالم.

نحوك كأرض يابسة» (مز ١٤٣: ٦). وتتوق نفسه إلى الله كما يشتاق الأيّل إلى الماء الحي (مز ٤٢: ١–٢). ولكن إذا كان الله مع أي إنسان فيصبح كجنّة، حاوياً في ذاته الينبوع عينه الذي يُحييه: «ويقودُكَ الربُّ على الدَّوامِ ويُشبِعُ في الجدوبِ نفسَكَ ويُنشِّطُ عِظامَكَ فتصيرُ كجنَّةٍ رَيَّا وكَنَبْعِ مياهٍ لا تَنْقَطِعُ مياهُهُ» (إش ٥٨: ١١).

في العهد الجديد أتى الرب يسوع المسيح ليزوّد البشر بالمياه المحيية التي وعد بها الأنبياء، فهو «الصخرة» الذي عندما طُعن (يو ١٩: ٣٤) خرجت من جنبه المياه القادرة أن تروي الشعب في سيره نحو أرض الميعاد الحقيقية: «فإنّي لستُ أريدُ أيُّها الإخوةُ أن تجهَلوا أنَّ آباءَنا جميعَهم كانوا تحتَ السَّحابةِ وجميعَهم اجتازوا في البحرِ، وجميعَهم اعتمَدوا لموسى في السَّحابةِ وفي البحرِ، وجميعَهم أكَلوا طعاماً واحداً روحيًّا، وجميعَهم شربوا شَراباً واحداً روحيًّا، لأنهم كانوا يشربون من صخرةٍ روحيَّةٍ تابعتهم والصَّخرةُ كانتِ المسيحَ» (١ كور ١٠: ١–٤؛ راجع يو ٧: ٣٨). وليست هذه المياه سوى الروح القدس، قوة الله المحيية (يو ٧: ٣٩). وعند انقضاء الدهر سوف يكون الماء الحي رمزاً للفرح اللامتناهي الذي سيتمتّع به المختارون الذين يقودهم الحمَل إلى المراعي الخصبة: «لأنّ الخروفَ الذي في وَسَطِ العَرْشِ يرعاهم ويقتادهم إلى ينابيعِ ماءٍ حيَّةٍ ويمسَحُ اللهُ كلَّ دَمعةٍ من عيونهم»، «ثمَّ قال لي قد تمَّ. أنا هو الألِفُ والياءُ البدايةُ والنهايةُ، أنا أُعطي العطشانَ من ينبوعِ ماءِ الحياةِ مجاناً» (رؤ ٧: ١٧، ٢١: ٦)، «لا يجوعونَ ولا يعطَشونَ ولا يضربهم حَرٌّ ولا شمسٌ، لأنّ الذي يرحمهم يَهديهم وإلى ينابيعِ المياهِ يورِدُهم» (إش ٤٩: ١٠).

من أقوال الآباء

+ احفظ الإيمان والتواضع داخل نفسك، لأنك بهما تجد الرحمة والمعونة وتسمع أقوالاً إلهية في قلبك، ويرافقك ملاكك الحارس في الظاهر وفي الخفاء. فإذا أردت أن تقتني هذه الأمور فاسلك أمام الله ببساطة لا بمعونة. ميزة الإيمان البساطة، أمّا التقصي والمعارضة فهما ميزتا التكبر الذي يبعد الإنسان عن الله.

+ عندما تقترب من الله بالصلاة كن بفكرك مثل النملة وزحافات الأرض والدودة والصبي الألثغ ولا تتكلم أمامه عن أي شيء بمعرفة. اقترب من الله بفكر الطفل، وسر أمامه لكي تستحق عنايته الأبوية التي تشبه عناية الآباء ببنيهم. قيل: «الرب يحفظ الأطفال» (مز١١٤: ٦). الطفل يقترب من الحية فيمسكها ويضعها على عنقه ولا تؤذيه. يسير عارياً في أوان الشتاء بينما الآخرون يلبسون ويتلحفون ومع ذلك يدخل البرد أعضاءهم، أمّا هو فيجلس في البرد والجليد والصقيع ولا يتألم، لأن جسده البريء متسربل بلباس آخر غير منظور منحته إياه العناية الإلهية التي تحفظ أعضاءه النضرة فلا يمسها سوء.

القديس إسحق السرياني

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb